جزيـــرة ابن عمـــر

من مُدن الجزيـرة الفراتيّــة في العصور الوسطى

د. محمد غندور*

تقع جزيرة ابن عمر في الإقليم الرابع من الأقاليم التي كانت معروفة في العصور الإسلامية الوسطى. وهي من مدن الجزيرة الفراتية بنيت على الضفة اليمنى من المجرى الأوسط لنهر دجلة على خط طول (42) اثنتين واربعين درجة و11 دقيقة شرقاً (شرق غرينتش) وعلى خط عرض (37) سبع وثلاثين درجة و(20) دقيقة شمالاً[1].

وجزيرة ابن عمر مدينة مسوّرة يحيط بها دجلة مثل الهلال، أقيمت في أول خط الملاحة النهرية لدجلة، وعند بداية سهل فسيح، وعلى مقربة من سفوح جبال طوروس. وإذا ما أردنا تحديدها اليوم، فإنها موجودة بأطلالها وآثارها في جنوبي بلدة تركية تدعى جيزري (Gizre) عند ملتقى الحدود التركية الجنوبية مع كل من سوريا والعراق.

هذا وتشير المعلومات إلى أن جزيرة ابن عمر بدأ تعميرها في منطقة باقردى على أنقاض قرية «كاسترا دجلات». ثم تحولت من باقردى إلى منطقة بازبدى بسبب التحولات التي أحدثها التغيير في مجرى النهر بواسطة الخندق الذي وسّع مجراه الحسن بن عمر التغلبي إلى الشرق من المدينة، وأجرى فيه الماء، وعند ذلك أصبحت المدينة في منطقة بازبدى[2].

وإذا كانت «جزيرة ابن عمر» مدينة إسلامية محدثة، عمّرت في النصف الأول من القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي، وذلك على يد الحسن بن عمر التغلبي المتوفّى سنة 250 هـ/ 864 م. غير أن الدراسات الأثرية فيها كشفت عن موجودات وأماكن وآثار سبقت فترة تعمير المدينة، ولذلك رأينا من الأفضل أن نتحرى ونستطلع على ما أجراه وعاينه الأثريون في خرائب المدينة، وفي ما حولها، ليتوضح لنا ويسهل أمامنا معرفة ما كانت عليه تلك الديار، وما عرفته تلك المنطقة من أحداث وحضارات، قبل بناء المدينة وبعدها. وتسهيلاً للأمر فقد وزعنا ما توفر لدينا معرفته، وما حصلنا عليه سن معلومات، وجعلناه على الشكل التالي:

(*) د. محمد غندور - الجامعة اللبنانية - كلية الآداب.

أولاً ـ آثار قديمة:

إن آثار العصور القديمة (عصور ما قبل التاريخ) في جزيرة ابن عمر، يكاد ينحصر في ظاهرة مميزة، وهذا ما أجمعت عليه معظم المصادر والمراجع، وذكره الرحالات والجغرافيون على أن جبل الجودي(*)، القائم قبالة جزيرة ابن عمر ـ ومن أعمالها ـ هو المكان الذي رست عليه سفينة نوح بعد الطوفان الكبير، حيث هبط من السفينة الثمانون إنساناً الذين رافقوا نوحاً عليه السلام. قال ابن الكلبي، عن أبي صالح عن ابن عباس: «كان في السفينة مع نوح ثمانون إنساناً». قال: «والدليل على ذلك قوله تعالى»: **﴿يا نوح اهبط بسلام منا، وبركات عليك، وعلى أمم من معك﴾**[5].

وقيل إن سوق «ثمانين» كان أول مجمع بني بعد الطوفان، وإن من دخل الجودي دخل الموضع الذي إستوت عليه سفينة نوح، وفي أسفل هذا الجبل بنيت قرية «ثمانين» بحسب العدد الخارج من السفينة. هذا ويقال إن في قرية «ثمانين» أربعين قبة، وإن تحت كل قبة منها قبر رجل من أهل السفينة، ولهذه القباب مشهد عظيم، صارت فيما بعد مزاراً للمسلمين حيث يجتمعون هناك لمدة ثلاثة أيام متتالية في كل عام[4]. ومما تذكره المصادر أن في هذه المدينة قبور جماعة من التابعين اندرست، ولم يعد لها من أثر بارز[5]. هذا وقد روى الهروي ما شاهده بأم عينه عندما صعد إلى أعلى الجبل (الجودي) والتقى هناك بعجوز، ولم يذكر إذا كان هذا العجوز مسلماً أو مسيحياً، فأعطاه خشبة وقال: إنها من سفينة نوح إذا صدق[6]. ومن المحتمل أن يكون هذا العجوز من رجال الدين النصارى باعتبار أنه كان يوجد في أعلى هذا الجبل الجودي ديرٌ نصراني يسمى دير السفينة، وكان يؤمه النصارى والمسلمون أيضاً في شهر آب من كل عام بمناسبة عيد السفينة[7].

ثانياً ـ آثار رومانية:

إن المصادر والمراجع التي تحدثت عن جزيرة ابن عمر والمنطقة التي حولها، لم تشر إلى مجسمات أثرية تنتمي إلى العهد الروماني، بل ذكرت بعض الأخبار وأشارت إلى وجود معاقل وحصون رومانية قديمة، أقيم على أنقاضها قرى ومدن. ومثال ذلك أن قرية بازبدى أقيمت مقام الحصن الروماني المشهور المسمى بزبدى Bezabda، غير أنه لم يلحظ وصفاً لهذا الموضع[8]. ويذكر سيئون في كتابه عن رحلته إلى بلاد ما بين النهرين وكردستان، والجزيرة، وجزيرة ابن عمر فيقول: «إن الرومان حلوا فيها أمداً طويلاً وبنوا قلعتها» وصيرها موقعها عند سلسلة جبال (ماسيوس Masius) ذات شأن عريض. ولم يذكر تفصيلات عن هذه القلعة[9]. ومما يذكر أنه في الجهة المقابلة لجزيرة ابن عمر، وبالتحديد في الضفة الغربية

(*) الجودي جبل قرب جزيرة ابن عمر لجهة الشرق، وعلى سفحه بنيت قرية «الثمانين». وأن نوحاً عليه السلام ورفاقه قد بنوا تلك القرية وسميت «ثمانون» نسبة لعدد رفاق نوح «الثمانين» الذين نجوا بعد الطوفان. وروي أن السفينة استقلّت بهم في اليوم العاشر من شهر رجب، واستقرت على الجودي يوم عاشوراء. وروى أبو سعيد عن قتادة: «أن البيت بني من خمسة أجبل (جبال) من طور سيناء، وطور زيتا، ولبنان، وجودي، وحراء». وان تحديد شهر رجب ويوم عاشوراء، لا شك أنه وضع في فترة متأخرة بعد تحليلات ومقارنات وعمليات حسابية من المؤرخين المسلمين. (البكري معجم ما استعجم ص 403) (ابن جبير: رحلته، ص 238).

ويذكر ياقوت: أن السفينة استقرت على الجودي في اليوم السابع عشر من الشهر السابع (رجب) وخفّ الماء من الأرض في اليوم الأول من الشهر الأول (محرم). وهذا ما ذكره التوراة (معجم البلدان ج 2 ص 179).

لدجلة، توجد بازبدى وباقردى. والقلاع هناك تمثل القلاع الرومانية المعروفة. ولكن ليس هناك من مواصفات لهذا المكان[10]. وهذا الرأي الأخير مشكوك بصحته لأن التوضيحات التي أوردها البحاثة الأب ج.م. فيي تفيد بأن الحصن «كاسترا دجلة» الذي بنيت عليه جزيرة ابن عمر، كان في منطقة كردو قبل القرن التاسع الميلادي، أي على الضفة الشرقية لنهر دجلة، وبقيت مدينة الجزيرة كذلك بعد بنائها، ومن ثم بفعل حفر خندق في شرقي المدينة، على يد الحسن بن التغلبي، تحول مجرى النهر في الخندق المحفور، وزاد الطين في المجرى الأساسي للنهر، وأصبحت المدينة في غربي المجرى الجديد للنهر فتحولت من منطقة كردو إلى منطقة بازبدى[11].

وإذا كان الباحثون والمهتمون بالآثار قد نسبوا هذه القلاع الواقعة غربي دجلة إلى العهد الروماني، استناداً إلى ما وجدوه من بقاياها، فإن أمر ذلك لا يعود إلى المصادر القديمة أو المراجع الحديثة، ولا إلى كتابات أو إشارات مميزة لهذه البقايا، وهي غير موجودة، وإنما يعود الأمر في ذلك إلى مبدأ المقارنة الذي اعتمده الباحثون في معرفة الآثار. ولهذا اقترحوا أن هذه البقايا من القلاع والجسور في غربي دجلة تشبه إلى حد كبير ما هو موجود في مناطق أخرى من ديار الجزيرة من قلاع وتحصينات رومانية[12]. غير أن الجسر الواقع إلى الغرب من جزيرة ابن عمر، فالشائع عنه أنه يرجع إلى العهد الساساني[13]. وإذا كان ابن الأثير ـ وهو من أهل جزيرة ابن عمر ـ قد ذكر أن الجسر قد بني في القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي[14]، فالواقع أن ما ذكره إنما كان إشارة إلى الجسر بعد ترميمه. ولم يذكر الجسر الأصلي الذي كان قائماً من قبل[15]. وإذا افترضنا بأن هذا الجسر يعود إلى العهد الروماني، فإن ذلك يكون بحذر باعتبار أن الفرس كانوا قد أقاموا جسراً من على الضفة الشرقية لدجلة لإيصالها بـبر الضفة الغربية، عندما كان مجرى النهر في غربي المدينة وليس في شرقيها بعد القرن التاسع الميلادي. ولهذا فمن المحتمل أن يضاف إلى الجسر تعديلات رومانية، ومن ثم إسلامية. وهذا ما حصل في العهد الأتابكي عندما أضافوا إلى الجسر تعديلات ورسوماً في القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي فأضفى عليه طابعاً أتابكياً صرفاً.

وإذا كانت بعض الآثار التي اكتشفت في بعض مناطق الجزيرة، كراقم المسافات الذي اكتشف على مقربة من مدينة سنجار، فإن البحاثة الأب ج.م. فيي قام بدراسته، والتدقيق في المعلومات المدونة عليه، فتبين بأن هذا «الراقم» كان قد نظم في عهد الامبراطور الروماني اسكندر ساويروس (222 ـ 235 م) ويستخدم لإرشاد السكان على معرفة المسافات بين المدن[16]. وتبعاً لاستخدام مثل هذا الراقم في منطقة سنجار، وبما أنه لم يذكر جزيرة ابن عمر، بل ذكر غيرها، فمن المحتمل أن يكون الرومان قد عمموا مثله في مناطق أخرى من ديار الجزيرة التي استولوا عليها، ومنها منطقة بازبدى. وحتى الآن لم يعثر الأثريون على مثل هذه الظواهر الأثرية في جزيرة ابن عمر، وما حولها. وكذلك لم يعثر على أطلال، أو بقايا لقنوات الري «الكهاريز» الأمر الذي يشجع على الاعتقاد، أنها لم تستعمل في مدينة «الجزيرة» كما استعملت في غيرها من مدن الجزيرة الفراتية.

ثالثاً ـ آثار نصرانية:

سبق وذكرنا أن النصرانية كانت الديانة الغالبة على سكان ديار الجزيرة الفراتية بصورة عامة، بما فيها منطقتا كردو وبازبدى. وقد أقيمت جزيرة ابن عمر في كردو، وبالتحديد على أنقاض قرية «كاسترادجلة».

وكانت المؤسسات الدينية قد أقيمت في جزيرة ابن عمر فيها بعد، بالرغم من كونها عمرت بعد الفتح الإسلامي. وكانت المؤسسات الدينية النصرانية قد انتشرت في جزيرة ابن عمر وما حولها، ونشطت تلك المؤسسات وخاصة الأديرة المتعددة، في جذب الناس إليها، لما كانت تبذله من هداية وتبشير، وتبصير وتعليم. وقد عثر الدارسون والبحاثة بين خرائب المدينة القديمة وأطلالها، على أنقاض مؤسسات نصرانية - أديرة وكنائس - متعددة الأشكال والأحجام، تعود بتاريخها إلى مراحل عاشتها الكنيسة النصرانية في مراحل طويلة من تاريخ المدينة الكبير، استمرت طيلة العصور الوسطى وفي العصور الحديثة حتى العام 1915[17].

رابعاً - آثار إسلامية ومعمارية:

1 - سور جزيرة ابن عمر وأبوابها:

إن الظروف الأمنية التي كانت تسود في العصور الوسطى جعلت كل مدينة، تحافظ قدر المستطاع على حمايتها وتأمين سلامتها من الأخطار المحدقة بها. ولذا كان الحكام يلجأون إلى صيانة المدن ببناء سور حولها، يفتح فيه عددٌ من المداخل والأبواب على أن توصد هذه الأبواب والمداخل في وجه الذين يهاجمون المدينة بهدف إخضاعها واحتلالها. وهذا ما كانت عليه جزيرة ابن عمر؛ فمنذ اختطها الحسن بن عمر التغلبي بعد سنة 200 هـ/816 م. حفر بجانبها خندقاً، ومن ثم أقام حولها سوراً يحيط بها، بالإضافة إلى كونها محاطة بالماء، بالتفاف دجلة حولها على شكل الهلال، ولهذا سميت بالجزيرة[18].

وإن سور جزيرة ابن عمر لا شك أنه قد ثلم (نقب) وخرب مرات عديدة بسبب عوامل الغزو والحروب، وعوامل طبيعية أيضاً. غير أنه كان يرمم من قبل حكام المدينة والملوك الذين يمتد حكمهم إليها. وبغية تحصينها كانوا يعمدون إلى إصلاح ما تخرّب في سور المدينة. وقد ورد ذكره في كتابات المؤرخين والرحالات الجغرافيين القدامى على تتابع أزمانهم، نوردها كما يلي:

- فابن حوقل الذي عاش في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي يقول: «جزيرة ابن عمر مدينة لها أشجار، وثمار، ومياه، ومرافق، وخصب، وعليها سور»[19].

- وابن شداد يذكر: «أن جزيرة ابن عمر مدينة مسوّرة، تحيط بها دجلة مثل الهلال»[20].

- أما ابن جبير فلم يذكر المدينة ولا سورها، ومن المعتقد أنه لم يمر بها أثناء رحلته في ديار الجزيرة، بل ذكر البلدات القريبة منها، وربما يكون قد أغفل ذكرها؟[21].

- أما ابن بطوطة الذي مرّ في جزيرة ابن عمر، ونزل بقربها أثناء رحلته في ديار الجزيرة الفراتية خلال القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي، قال: «جزيرة ابن عمر، مدينة يحيط بها الوادي... وسورها مبني بالحجارة»[22]. وتحدث عن الدمار في المدينة.

وإلى جانب الكتّاب القدامى، هناك طائفة من الرحالات والباحثين الأجانب ممن زاروا جزيرة ابن عمر، واطلعوا على ظواهرها الأثرية، وتحدثوا عنها ووصفوها وذكروا سورها. ومن هؤلاء نذكر:

- بيل (Bell) التي وصفت سور جزيرة ابن عمر فقالت: «أقيم على ضفة النهر بعض الأسوار، من الحجارة الكلسية»[23].

- وذكر ليسترونج (Lestrange) أن جزيرة ابن عمر هي مدينة مسوّرة «بسور يحيط بها»[24].

أما الأبواب التي كانت تنفتح في سور المدينة فهي ثلاثة: باب الجبل، باب الجديد، باب الماء[25]. وربما

يكـون لها بـاب رابع يـذكره ابن الأثـير بـاسم «بـاب البـويبة»، لا يسلكه إلا الـرّجالـة؛ لأنـه يصعـد إليـه بـدرج من ظاهـر البلد[26] وربما يكـون هذا البـاب هو بـاب المـاء الـذي كـان يؤدي إلى مجـرى دجلة، ولـذا سمي بباب الماء.

2 ـ قلاع جزيرة ابن عمر:

بالإضافة إلى قلعة جزيرة ابن عمر الرئيسة، كان هناك عدد من القلاع التي تعتبر من ممتلكات الجزيرة، وفي ضمن حصونها، وكانت تشكل الجدار المنيـع للمحافظة على حماية المدينة ما أمكن. وكانت هذه القلاع حول الجزيرة وعلى مقربة منها، وقد أورد ابن شداد أسماءها بحسب الترتيب التالي:

1 ـ قلعة الجراحية.
2 ـ قلعة فرح.
3 ـ قلعة برخو.
4 ـ قلعة فنك.
5 ـ قلعة الجديدة.
6 ـ قلعة القصر.
7 ـ قلعة أروخ.
8 ـ قلعة كنكور[27].

وهناك قلعة أخرى تقع قرب جزيـرة ابن عمر هي قلعـة «أردمشت» وقد ذكـر يـاقـوت مكـانها في شرقي جبل الجودي[28]. لكنها تعتبر من أعمال الموصل، وهي نفسهـا التي عرفت فيـها بعـد بقلعـة «كـواشي». وقـد عرفت أيضاً بـأسماء أخرى فسميت باسم «الصـوارة» وباسم «قلعة السـلامة»[29]. وقـد اقترنت هـذه القلعة بتاريخ الحمدانيين، وبـالقرب من هـذه القلعة هنـاك قلعة أخرى، عرفت باسم قلعة «الزعفران» وقد حدد موضعها عـلى أنها قرب جـزيرة ابن عمـر، تحت قلعة أردمشت[30].

وإذا ما أردنا تحديد القلاع التي أوردها ابن شداد فإننا نذكر أن بعضها لم يكن من أعمال المدينة (جزيرة ابن عمر) بدليل أن ما يذكره ابن خلكـان عن قلعة «الجراحية» أنها كانت إحدى قلاع الموصل، وليست من قلاع جزيرة ابن عمر[31]. وهذا ما يدفعنا إلى الشك بأنها فعلاً ليست من قلاع الجزيرة.

أما قلعة فنـك، فقد كـانت للأكـراد «البشنويـة»، ومـوقعها عـلى جبـل عـال قـرب جـزيـرة ابن عمـر، وصـاحبهـا أمـير كـردي يـدعى الأمـير «إبـراهيم الكردي»[32].

أما الفترات الـزمنية التي أقيمت فيهـا هذه القـلاع فالراجح أنها بنيت في فترات متعـددة، منها قـديم منذ العهـد الرومـاني والسـاسـاني، وبعضها الآخـر خـلال حكم الملوك والأمـراء الأقـويـاء كـأمـراء الأكـراد والسلاجقة والأتابكة، وقد دلّت بعض الآثار إلى طراز ارتقي في بناء بعض الجسور.

3 ـ المسجد الجامع:

ومن المعروف أن المسلمين كانوا قد شيدوا دوراً لسكناهم في كل بلد أخضعوها لحكمهم، ونشروا فيها مبادىء وتعاليم دينهم، وأضافوا لذلـك دوراً للعبادة لممارسة شعائرهم الدينية، وكانت في الوقت نفسه بمثابة مراكز علمية يتلقى فيها الطلاب المسلمون تعاليم دينهم من جهة، والعلوم الدنيوية الأخرى من جهة ثانية. ولهذا فإن مدينة «جزيرة ابن عمر» كانت قد شهدت منذ تأسيسها، إقامة مثل هذه الدور، والتي هي المسـاجد، والمسـاجد الجـامعـة. وبهـذا الخصـوص أشارت المصـادر والمراجـع إلى جوامـع جزيرة ابن عمر ومساجدها الكثـيرة. ويذكـر ابن شداد أن جزيرة ابن عمر كانت تضم في داخلها غير مسجد جامع «وبها جـامعان، تقـام فيهما الجمعـة أحدهما قديم، والآخر من إنشاء شبل الدولة أحد

موالي الملك الرحيم بدرالدين لؤلؤ، صاحب الموصل»[34]. ويضيف ابن شداد قائلاً: «... إن بها ثمانين مسجداً»[35]. ولم يعدّل أو يؤكد أي مصدر آخر ما ذكره ابن شداد. هذا وقد أطنب الرحالات المسلمون في وصف جامع جزيرة ابن عمر، ومواصفات بنائه، من ذلك ما قاله ابن بطوطة: «... ولها مسجد عتيق مبني بالحجارة محكم العمل»[36]، ولكنه لم يذكر أن في المدينة جامعين. وللزيادة في الإيضاح فإننا نشير إلى الباحثين الذين كتبوا عن جزيرة ابن عمر وذكروا في أبحاثهم جامع جزيرة ابن عمر، كالبحاثة الأب ج.م. فيي الذي يقول: «بالقرب من الجامع الكبير القديم، بنى الأمير بدر الدين لؤلؤ جامعاً جديداً»[37]. وبهذا أصبح في المدينة جامعان، على أن أحد هذين الجامعين ربما كان ما زال قائماً بحسب ما ذكره ليسترونج... والجامع القديم ما زال قائماً»[38]. ومما لا شك فيه أن الجامع القديم كان يرمم كل ما تدعو الحاجة، وبقي قائماً حتى فترة قريبة مضت وتشير دائرة المعارف الإسلامية: إلى هذا المسجد فتصفه بالمسجد الكبير[39].

أما بيل Bell (التي زارت المدينة في نهاية القرن التاسع عشر) فقد أشارت إلى الجامع الرئيسي في جزيرة ابن عمر، ووصفت أبوابه، وما نقش عليها، ووصفت قبة الجامع وطرازها، ومما قالته بهذا الخصوص: «في المدينة شاهدنا الجامع الرئيسي، وله أبواب فيها نقوش برونزية، وقبة الجامع محمولة على أعمدة طرازها قديم»[40]. (انظر الشكل في آخر البحث). وكرر ليسترونج ما ذكره ابن بطوطة فقال عن جامع الجزيرة «ولها مسجد عتيق مبني بالحجارة محكم العمل» [41]. أما الرحالة بكنجهام فإنه يذكر وصفاً لمدينة الجزيرة، وهي في ذروة مجدها، كما يقول أبناء البلاد عنها: «إنها كانت تضم ثلاثماية وستين مسجداً، أي بقدر عدد أيام السنة»[42]. ولم يعزز قول بكنجهام أي مصدر آخر أو مرجع، وربما يكون برأيه هذا قد اعتمد على أقوال من شاهدهم في تلك الديار، ويبدو أن الأرقام التي يذكرها، فيها من المبالغة بحيث لا تشجع على الأخذ بها. ويظهر من المعلومات التي يوردها «كوينيه» بعدما زار المدينة في الربع الأخير من القرن التاسع عشر، ومعاينته ومشاهداته في مدينة Cizré (جزيرة ابن عمر سابقاً) فإنه يذكر أنه وجد هناك: «خمسة جوامع جميلة جداً، وأربعين مسجداً[43]. (مصلى إسلامي).

أما البحاثة الدكتور الأب ج.م. فيي الذي عايش المنطقة لفترة طويلة، وعاين أطلال جزيرة ابن عمر وبقاياها، وأجرى الدراسات والأبحاث حولها، فقد قال: «في القرن التاسع عشر، كان يوجد (30) سبيل ماء، و(19) جامعاً...»[44] وعلى أغلب الظن أن هذه الجوامع التسعة عشر لم تكن مساجد جامعة، بل كانت بمثابة مراكز للصلاة فقط، ولتشييع الموتى، وأداء الصلاة عليهم.

4 - المراقد والمزارات:

بما أن جزيرة ابن عمر ومنطقتها من قبل، قد شهدت مذاهب متعددة من حنيفية ونصرانية وإسلامية ويزيدية لذا ظهرت في جهاتها، مراقد الأئمة والصالحين على اختلاف مذاهبهم. ومن هذه المراقد ما ذكره الحميري، عن القباب التي أقيمت في قرية «الثمانين» على جبل الجودي، على كل قبر من قبور الأربعين رجلاً - التابعين - لنوح في سفينته، وهذه القباب كان لها مشهد عظيم، عندما كان يجتمع، المسلمون في كل عام، لمدة ثلاثة أيام بهدف التبرك، والزيارة[45].

ومن المعروف، أن ملوك جزيرة ابن عمر، قد أظهروا ولاءهم وتأييدهم للدول التي قامت في المنطقة والتي كانت على المذهب الشيعي، كالفاطميين،

والبويهيين، والحمدانيين، والعقيليين ومن ملوك الجزيرة نذكر: بدر الدين لؤلؤ الذي أعلن تأييده للشيعة ربما لأغراض سياسية في الأصل، فكان من نتائج هذا التأييد، انتشار حركة تشييد المشاهد، وكان أن ظهرت أساليب جديدة غنية، حيث وجدت القباب، والمحاريب، والأضرحة، والمزارات بأنماط مختلفة من العمارة[46].

وحيث ان جزيرة ابن عمر، قد دانت لسلطان الدول المشار إليها آنفاً، فمن الطبيعي أنه تقام على أرضها وفي ديارها وأعمالها، مثل هذه المزارات والمشاهد والمراقد، فضلاً عن المزارات والأضرحة التي أقيمت برعاية اليزيدية عندما دخلت معتقداتها وطقوسها ديار جزيرة ابن عمر وقراها. وإلى ذلك نشير إلى ضريح الشيخ عدي الذي كان مزاراً لليزيديين[47]. هذا ولم تزودنا المصادر والمراجع بتفصيلات عن تلك المشاهد والمراقد والمزارات، ولم يرد ذكرها سوى عرضاً دون أية تفصيلات.

5 ـ البيمارستان ـ الحمامات:

كان البيمارستان (المستشفى) في طليعة اهتمامات الخلفاء المسلمين، والوزراء، والأعيان، وتجهيزه بالأدوات اللازمة، وذلك كعمل من أعمال البر والخير. وكانت البيمارستانات تقوم في وظيفتها بمعالجة المرضى وإشفائهم. وقد كان في جزيرة ابن عمر بيمارستان واحد[48]. ويقترح بعض الباحثين أن بيمارستان «جزيرة ابن عمر» يعود تاريخ تأسيسه وعمله إلى القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلاد، عندما كانت المدينة تحت حكم الأتابكيين[49]. وعندما زار «كوينيه» المدينة في أواخر القرن التاسع عشر، رأى أنقاض بيمارستان جزيرة ابن عمر، ولم يذكر تفصيلات أخرى، بل ذكر المستشفى العسكري في المدينة الحديثة[50].

وكانت الحمامات تعتبر من أهم المنشآت المدنية الإسلامية، وكانت كثرة الحمامات وتعددها هي الظاهرة البارزة في كافة المدن الإسلامية، وكانت أهميتها ترتبط بممارسة الطهارة والنظافة. وقد كثرت الحمامات في مدن إقليم الجزيرة الفراتية، وكان منها جزيرة ابن عمر، التي شيد فيها الملوك والأمراء والقادة عدداً من الحمامات.

ومن المعروف أن الحمامات كانت متعددة الأحجام والأشكال، وكان الحمام الواحد يحتوي على عدد من الغرف تستخدم لمراحل الاستحمام. وكانت الحمامات تستعمل من قبل الرجال والنساء، وكل جنس في الحمامات المخصصة له[51]. وكان في جزيرة ابن عمر «أربعة عشر حماماً»[52].

6 ـ الخان:

إن الضرورات التي أملتها أساليب حياة السكان وتنقلاتهم، منذ أقدم العصور ولا سيما بعدما نشطت الحركة التجارية في المدن، كانت ظروف المسافرين والتجار تتطلب وجود أماكن لراحة المسافرين، فكان وجود الخانات في المدن على الطرق الرئيسية هي المراكز التي يؤمها وينزل فيها التجار والمسافرون والرحالات، على اختلاف أجناسهم ودرجاتهم ومذاهبهم. وكانوا يجدون في تلك الأماكن ـ الخانات ـ محطات لراحتهم من مشقات الأسفار التي يتكبدونها. وقد قيل وروي الكثير عما كان يجري في تلك الأماكن من طلبات وعروض تجارية، وعقود بيع وشراء، وعما كان يجري أيضاً بين المسافرين من حلقات تعارف وصداقات وسمر، ونوادر. وفي حالات كثيرة كانت هذه الأماكن بمثابة ملاجىء لأبناء السبيل والضالين. وحيث ان وجود الخانات كان يؤدي خدمة كبرى لجميع السكان، فقد كان الملوك والولاة والأمراء يكثرون من إقامة مثل هذه المراكز،

في جهـات متعـددة من البـلاد التي تخضـع لحكمهم، وينسبون بناءها لهم[53].

وقـد ذكرت المصـادر التـاريخيـة العـديـد من هـذه الخانات التي أقيمت في مـدن الجزيـرة الفراتيـة. ومن الطبيعي أن جـزيـرة ابن عمـر قـد عـرفت وجـود الخانات، ومما يشجع عـلى القول بـوجود الخـانات في مدينة «الجزيرة» كونها، كما سبق وذكرنا، مدينة كبـيرة ومحـطة، ومنطلقـاً تجاريـاً مهماً، وممـرفـاً نهريـاً. وتبعـاً لذلك، فقد كان يؤمها الكثير من التجـار والمسافـرين والرحالات أيضاً. والمصادر لم تشر إلى وجود خـانات في جزيرة ابن عمر أو في أعمالها. فابن جبـير الذي تجـول أثنـاء رحلتـه في إقليم الجـزيـرة، لم يـذكـر شيئـاً عن خانات المدينة، بل اكتفى بذكر المواصفات العامة، لما حول المدينة[54]. أما ابن بـطوطة، وبـالرغم من نـزوله في جزيرة ابن عمـر، فإنـه لم يسمّ الخان الـذي مكث فيه لبعض الوقت[55]. وربما لأن المدينة كانت في الفترة التي زارها ابن بطوطة كانت تعاني من الخراب والدمار (في القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي).

ومن البـاحثين المحـدثين، ذكـر كوينيـه الـذي زار المدينة في نهاية القرن التاسع عشر، عدداً من الخانات فقال: «. . . في هذه المدينة التي كانت عظيمـة في الماضي وجد. . . وخمسة خانات»[56] «ولكنه لم يعط مواصفات لهذه الخانات، وفيما إذا كانت هذه الخانات كلها قديمة ورمّمت، أم إذا كـان بعضها قـديمـاً، وبعضهـا الآخـر حديثاً وعلى الأرجح فإن بعض هذه الخانات ربمـا كان ينتمي إلى آخر العصور الوسطى؛ لأن المـدينة عـرفت وجـود الخـانـات، كغيرهـا من مـدن إقليم الجـزيـرة الفراتية.

هذا وقد تنـاول البحاثـة الأب فيي وجود الخـانات فذكر أن في المدينة «خمسـة خانـات. . . وسوقـاً قديمـاً شبه خال»[57].

7 ـ البقايا الـزخرفيـة في عمائـر جزيـرة ابن عمر وأطلالها:

إن بقـايا وأطـلال العمارات والأشكـال الزخـرفيـة وأنماطها، التي لا تزال تشاهـد في خرائب جـزيرة ابن عمـر القديمـة، تدل عـلى أن صنـاعـة البنـاء في تلك الجهات، كانت مزدهرة ومتقنة إتقاناً حسناً، وأن هذا الازدهار والاتقان ما كانا ليحصلا لو لم يتوفـر الرخـاء الاقتصـادي لـدى سكـان المدينـة والـوافـدين إليهـا للإقامـة، بالإضـافة إلى وجـود وفرة في مـواد البناء، ووجود بنّائين مهرة يتقنون فن البناء والـزخرفـة. ومن خلال تلك البقايا، ومن بعض ما أفـادتنا بـه المراجـع نقول: إن جزيرة ابن عمر ونواحيها كانت غنية بمـواد البناء ولا سيما حجر البازلت الذي كان على مقربة من المدينة[58].

وهـذا ما سهّـل على السكـان استخـراج الحجـارة الصلبة الداكنـة، واستغلالهـا في مختلف أنواع البنـاء، فصنعت منهـا الأعمدة والجسـور والتيجـان والعقـود المدببة والمقرنصات والأقواس والدعائم ومجاري المياه، وبلّطت بهـا أرضيّـات وعتبـات الـغـرف والـدور والحمامات والأدراج، وصنعت منهـا التماثيـل وشواهـد القبور والمحاريب، وغيرها.

ومن خلال ذلك نستطيع القـول بأن عـمائر جـزيرة ابن عمـر لم تكن محصـورة في عهـد من العهـود التي تعاقبت عليها؛ لأن حركة البناء فيها استمـرت بشكل متواصل، مع أخذنـا بالاعتبـار الفترات الصعبـة التي كانت تتعرض فيها المدينـة لكوارث سيـاسية وطبيعيـة فتتحول إلى شبه خراب. ولكن سرعان ما كانت تعود إلى ازدهـارها العمـراني من جديـد. وإن ما شـاهـده الرحالات والباحثون من بقايا المدينـة، يلقي ضوءاً عـلى الـطراز المعماري الأتـابكي، الـذي مثـل جـانبـاً مهـماً وواسعـاً من الجـوانب العمـرانية، وواكب تـاريـخ المدينة، وذلك تبعاً للجهود التي بذلهـا الملوك الأتابكـة

من أجل إعمار إماراتهم وإنعاشها.

وإذا كانت بعض البقايا من أطلال القلاع التي كانت حول المدينة وعلى مقربة منها، قد أظهر لنا الطراز الرومآني في مجال العمارة والإبداع، فإن ذلك كان قبل بناء المدينة في القرن التاسع الميلادي[59]. وإن الملوك الذين حكموا جزيرة ابن عمر (حمدانيون، مروانيون، أتابكة، وأيوبيون) وما أنجزوه في تلك المدينة، فقد درست معظم أبنيتهم، وإن ما تبقى منها اقتصر على التواضع والبساطة؛ بسبب التأثيرات الناتجة عن الغزوات التي تعرضت إليها المدينة عبر تاريخها، من شعوب غريبة عنها، كان همّها الوحيد أن تستغل خيراتها والتحكم بها وبمصير سكانها والاستئثار بحكمها، مما كان يؤدي إلى إفقار البلاد. وساهم في ذلك بطريقة مباشرة وغير مباشرة، الكوارث الطبيعية والقحط والأمراض المتفشية التي كانت تتعرض لها المدينة بين الحين والآخر.

وإن الذي يعنينا في الأمر هو الأطلال وما تحمله من أشكال زخرفية. كانت ما تزال حتى عهد قريب، وقد وصفتها كتب ومقالات الباحثين والرحالات،وقد أفادتنا «بيل» (Bell) التي زارت المدينة في أواخر القرن التاسع عشر، فوجدت بين أطلالها «على باب القلعة علامات مميزة تدهش الناظر، والتي تتشابه مع صور الأسود». وكذلك شاهدت «النقوش البرونزية الجميلة على أبواب الجامع الرئيسي فيها»[60].

وعلى بعد بسيط عن جزيرة ابن عمر باتجاه مجرى النهر، توجد آثار جميلة لجسر لم يبق منه سوى قنطرة واحدة، طولها (28) متراً، وعلى أعمدتها توجد منحوتات تمثل أبراج «الزودياك» تماماً كما وجد على جسر «حصن كيفا». وهناك بعكس مجرى النهر، بالنسبة للمدينة، توجد آثار تشير إلى الطراز الأرتقي، تمثل بقايا سور لجسر بناه «تمرشاه دى ماردين»[61]. وفي قول آخر إن هذا الجسر يعود إلى العهد الأتابكي، بناه الوزير جمال الدين وزير قطب الدين صاحب الموصل (المتوفى سنة 559 هـ/1164 م.) وقيل: إن من أبنيته العجيبة التي لم ير الناس مثلها، الجسر الذي بناه على دجلة عند جزيرة ابن عمر، بالحجر المنحوت، والحديد، والرصاص، والكلس، وبنى عندها أيضاً جسراً على النهر المعروف بالأرباد، وبنى الربط، وقصده الناس من أقطار الأرض[62]. وإن الجسر الذي يرجع عهده إلى العصور الوسطى مهمل الآن إهمالاً شديداً، وقد أخذ الخراب يشيع في أوصاله. على أنه بقي في دروب هذه المدينة بعض أطلال لبضع كنائس قديمة[63].

أما البلدات والقرى التي كانت تابعة للمدينة، وتعتبر من أعمالها، «كثمانين» والحسنية، وباعيناتا، وغيرها، فإنها لم تقل أهمية عما كانت عليه مدينة «الجزيرة» من حسن عمارة، وجمال وفنون، وإتقان بناء، فقد شيدت بين ربوع هذه البلدات والقرى العديد من القصور والأديرة والكنائس والجوامع، ما زالت أطلالها تحاكي ماضيها العمراني الشهير[64]. وجزيرة ابن عمر التي كانت في الماضي «أحسن المناطق عمارة وأرجاها سلامة»[65]، أصبحت اليوم أطلالاً، تحكي قصة تاريخها، عبر ما تركته بصمات بناتها. وإن ما ذكرته المصادر عن فترات عصورها المزدهرة، وما حملته أخبار الرحالات والباحثين الذين شاهدوا الزخارف في أطلالها وبقايا عمرانها، قد بيّن وأوضح ما كانت عليه مدينة «الجزيرة» في عصورها الغابرة من تقدم فنونها العمرانية وذوق زخرفتها وجمالها.

8 ـ النقود والعملات:

تعتبر النقود والعملات القديمة من أهم الآثار الباقية والمصادر التي يعتمد عليها الباحثون في كتاباتهم التاريخية؛ لأن الوثائق المكتوبة لا تكفي وحدها لهذا الهدف، إما لندرتها، وإما لتناقض ما جاء فيها، أو لاختلاط الحقائق التاريخية فيها بالقصص والأساطير.

وكـانت النقود ومـا زالت تعمل عـلى تفسير غـوامض تاريخية، وتوضيح حقائق مطموسة. فعن طريق النقود تجلّت بعض ظـواهر الـدول، وعواملهـا الاقتصـاديـة والسيـاسية والاجتماعية والـدينية، والعمـرانية. ومن خـلال دراسة النقـود والعمـلات يمكن الـوصـول إلى معرفة استقـلال الدول وسيـادتها، وامتـداد أو انكفاء حـدودها، ومـدى اتساع عـلاقات الـدول فيما بينهـا، وتجاراتها. وبالإجمال فإن دراسة النقود القديمة، إذا ما تيسر للباحثين الـوصول إليهـا، تقوم بقسط وافـر من المهمة التاريخية.

وجـزيرة ابن عمـر، المـدينـة التي بـدأ تـاريخهـا في بدايات القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي، هي مدينة إسلامية، تعـاقب على حكمهـا أصناف مختلفـة من الملـوك والقـادة وأنمـاط من الـدول، وشهـدت المدينة فترات من الاستقلال، وفـترات حكم الغربـاء عنهـا. وقد عـرفت المدينـة صناعـة النقـود كعمـلات يتداولها الناس فيما بينهم، وتتداولها المـدينة بينهـا وبين جاراتها من الإمـارات، والمدن القـريبـة منهـا. وقـد ظهرت على تلك النقـود كتابـات وصور تمثـل شارات الملوك والدول التي تعاقبت عـلى حكمها، وشعـاراتهم الدينية.

وإن الأهمية الاقتصادية التي اكتسبتها جـزيرة ابن عمر في عصورها المزدهـرة خلال العصـور الوسـطى، ومكانتها بين مدن إقليم الجزيرة الفراتية، جعلت منها داراً لضرب النقـود بعـد القـرن الثـالث الهجـري/ التـاسـع الميـلادي. وقـد عـثر بـين خـرائب المـدينـة وأنقـاضها عـلى كثير من نماذج النقود التي ضربت في دار سكّة المدينة، ومن جملة هذه النقود بعضها الـذي يحمل تاريخاً يسبق بناء المدينة، والذي ما زال مـوضع نقاش، بسبب أن نقوداً ضرب عليها لفظ «الجزيرة»، وتنتمي إلى العصر الأموي، ضربهـا الخليفة الأمـوي مروان بن محمد. ويفسر البعض أن المقصود بالجـزيرة هنا هو جزيرة ابن عمر، ولا يراد بها غيرها[66].

وإذا وافقنـا على أن النقـود ضربت في جزيـرة ابن عمر في عهد العبـاسيين أو في عهـد أتابكـة الموصـل، فلا نكون قد جانبنا الصواب. أما ما قيـل عن النقـود التي نسبهـا البعض إلى الـعصر الأمـوي، فـيمكـن اعتبارها مضروبة في الجزيرة الفراتية، وليس في جزيرة ابن عمر بالذات. مع الإشارة إلى أن الخليفة الأمـوي مروان بن محمد قـد ضرب النقود عـلى سكة «حـرّان» بالجزيرة[67].

وإذا كـان البحاثـة «وولكر» يقـترح أن دار السـكّ بالجزيـرة، ربما كـان في موقـع جزيـرة ابن عمر، التي حملت هـذا الاسم[68]، فهـذا عـلى سبيـل الاقـتراح، وليس من باب التأكيـد. وقد نـوافق على هـذا الرأي خارج فترة العهد الأموي وبـداية العصر العبـاسي، حتى بدايات القـرن الثالث الهجـري، تاريـخ تأسيس المدينة. وهذا ما يوضحه البحاثة «زامباور»، فذكر أنه لم يوجـد في جـزيرة ابن عمـر مسكـوكـات خـاصـة بالعصر الأموي، وأن الاسم الموجود على وجه العملة الأرجح أنه الجزيرة العمرية، وبأن «أحمد ضيـا» خلط بـين الجزيـرة العمريـة وجـزيـرة ابن عمـر[69]. وتشـير المراجع إلى أن المسكوكات التي عثر عليها، قـد تكون مضروبة في دار سكة جزيرة ابن عمـر في عهد الأمـير العبـاسي «العباس بن محمـد» ولكنها لم تـذكر تـاريـخ ضربها[70].

هذا وقد عثر على مسكوكات ونقود ضربت في فترة حكم الأكراد المروانيـين، في فترة حكم الأمـير المرواني «الحسن» نصر الدولة ـ أحد موالي أمير الدولـة البويهي ـ وقد حملت تاريخ ضربها سنة 385 هـ. وأخرى ضربت سنة 412 هـ[71]، وأن هذه الفترة تعاصر حكم الخليفـة العباسي القادر بالله (381 ـ 442هـ/991 ـ 1030م).

وفي العهـد الأتـابكي كـان معـظم مـدن إقليم

الجزيرة الفراتية يخضع لحكمهم، وكانت جزيرة ابن عمر إحدى هذه المدن، وكانت محط رعاية واهتمام الحكام، فازدهرت المدينة، واكتسبت شهرة واسعة. ويستدل على ذلك من خلال المسكوكات التي عثر على نماذج لها في خرائب المدينة وبين أنقاضها. وتبين أن الأتابكة استخدموا دار ضرب السكة في المدينة، وضربوا فيها نقوداً متنوعة، حيث شملت الدنانير، والدراهم والفلوس، وضربت النقود الذهبية والفضية والنحاسية، وظهر على معظمها، وخاصة النحاسية منها، نماذج متعددة لصور مختلفة[72]. وأن المسكوكات التي ضربت في العهد الأتابكي جاءت - حسب ما يمكن تنظيمه - على الشكل التالي:

- نقود سكت في عهد الملك الأتابكي «غازي الثاني» ضربت سنة 575هـ/1179 م[73].

- نقود سكت في عهد الملك «مسعود الأول ضربت سنة 575هـ أيضاً/1179م[74].

- وفي عهد الملك الأتابكي «سنجرشاه» ضربت النقود في جزيرة ابن عمر، مرتين[75].

- وضربت نقود أخرى حملت التواريخ التالية 606، 616، 618، 639هـ. وتترافق هذه السنوات مع حكم الملك الأتابكي في جزيرة ابن عمر ومحمود بن سنجر شاه[76].

- ومن النقود التي ضربت في الجزيرة أيضاً، كانت المضروبة سنة 649هـ، وتترافق هذه السنة مع بداية حكم بدر الدين لؤلؤ لجزيرة ابن عمر، والتي بدأت سنة 649هـ/1251 م[77]. أما العملات التي سكت في جزيرة ابن عمر، خلال السيطرة المغولية عليها، فقد عثر على نقود مضروبة تعود لسنة 661 و691. وهاتان العملتان ضربتا في عهد هولاكو، وعهد آرغون[78].

وقد عثر على نقود تبين أن تاريخ ضربها يعود إلى السنوات التالية: 703هـ/1303 م و720هـ/ 1320م[79].

ومن النقود التي ضربت في جزيرة ابن عمر، نقود يعود تاريخها إلى فترة حكم التركمانيين «القره قوينلو» سكت في عهد السلطان بوداق خان، لم يذكر عليها تاريخ سكّها[80].

وهناك نماذج من العملات التي ضربت في جزيرة ابن عمر، وذلك خلال فترة السيطرة العثمانية عليها التي بدأت في حدود سنة 1516م، وأن النماذج التي تمّ العثور عليها حتى الآن هي:

- مسكوكات ضربت في عهد السلطان «سليم الثالث»، تحمل التواريخ التالية:
1217هـ/1802م.
1221هـ/1806م.
1222هـ/1807م.

- مسكوكات مضروبة في جزيرة ابن عمر، في عهد السلطان «مصطفى الرابع» تحمل تاريخ ضربها سنة 1222هـ/1807 م.

- مسكوكات مضروبة في جزيرة ابن عمر في عهد السلطان «محمود الثاني». حملت تواريخاً، يبدو من خلالها أنها استمرت في التداول بعد السلطان «محمود».

1230هـ/1814م.	1232هـ/1816م.
1235هـ/1819م.	1237هـ/1821م.
1238هـ/1822م.	1239هـ/1823م.
1240هـ/1824م.	1242هـ/1826م.
1244هـ/1828م[81].	

الحواشي

(1) دائرة المعارف الإسلامية أحمد الشنتناوي وآخرون ج 6 ص451.

(2) P. Fiey: Les diocèses du Maphrianat Syrièn p. 358 - 359.

(3) البكري: معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، ص 344 القرآن الكريم سورة هود (11) الآية (43). وقصة نوح أقرها التلمود قبل القرآن.

(4) المسعودي، مروج الذهب، ج1، ص51. الحميري: الروض المعطار في خبر الأقطار، ص 150.

(5) الهروي: الإشارات إلى معرفة الزيارات، ص 68 - 69. ويقصد الهروي بأن اندراس هذه القبور - إنما كان قبل أيامه التي عاشها في أواخر القرن السادس هـ/ت. سنة (611هـ) (المصدر نفسه).

(6) P. Fiey: Nisibe: Métroplole Syriaque Orientale. p. 222.

(7) Op: Cit. P. 223.

(8) ليسترونج: بلدان الخلافة الشرقية، ص123.

(9) رحلة متنكر إلى بلاد ما بين النهرين وكردستان، ج 1، ص 114.

(10) Lestrange: The Land of the Eastern Caliphate. p. 93.

(11) P. Fiey: Les Diocèses du Maphrianat Syrièn. p. 361.

(12) طه باقر وفؤاد سفر: المرشد إلى مواطن الحضارة والآثار، الرحلة الثالثة، ص 63.

(13) دائرة المعارف الإسلامية، أحمد الشنتناوي وآخرون، ج 6، ص 451.

14) ابن الأثير: الكامل، ج11، ص 308، ويضيف ابن الأثير أنّ الوزير جمال الدين الأصفهاني وزير قطب الدين صاحب الموصل هو الباني لهذا الجسر عند جزيرة ابن عمر بالحجر المنحوت والحديد والرصاص والكلس (المصدر نفسه) ولكن هذا الجسر يقع شرقي المدينة وليس غربيها وهو غير الجسر المشار إليه في غربي المدينة.

(15) دائرة المعارف الإسلامية، أحمد الشنتناوي وآخرون، ج 6، ص452.

(16) شميساني: مدينة سنجار، ص 262، والراقم هو عبارة عن حجرة مخروطية الشكل قطرها 48 سم وارتفاعها 134سم وموجود في متحف الموصل. (مجلة سومر، مجلد 8، ج 1، و2 لسنة 1952، ص 319 - 320).

(17) ولمزيد من التفاصيل انظر: الأب فيي.

(P. Fiey) Nisibe: Métropole Syriaque Orientale. Les Diocéses Du Maphrianat Syrién.

(18) ابن شداد: الأعلاق الخطيرة، ج3، ق1، ص213.

(19) ابن حوقل: صورة الأرض، ص 202.

(20) ابن شداد: الإعلاق الخطيرة، ج3، ق1، ص 213.

(21) ابن جبير: رحلته، ص 238، غير أن محقق كتاب ابن جبير يذكر سور جزيرة ابن عمر في الحاشية، ص 238.

(22) ابن بطوطة، رحلته، ص 236.

(23) Bell: Amurath to Amurath, p. 297.

(24) Lestrange: The Land of The Eastern Caliphate. p. 93.

(25) ابن شداد: الأعلاق الخطيرة، ج 3، ق1، ص 214.

(26) ابن الأثير: الكامل، ج10، ص 144، ويذكر أن من باب البوبية تمكّن جيش فخر الدين بن جهير سنة 487هـ/ 1094 م، وبالتعاون مع بني وهبان في الجزيرة، من دخول المدينة والقضاء على دولة بني مروان فيها (المصدر نفسه).

(27) ابن شداد: الاعلاق الخطيرة، ج3، ق1، ص215.

(28) ياقوت: معجم البلدان، ج 2، ص 663.

(29) البغدادي: مراصد الاطلاع، ج 2، ص 561.

(30) ياقوت: معجم البلدان، ج2، ص 663.

(31) ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج 5، ص 267.

(32) ابن الأثير: الكامل، ج 11، ص 438.

(33) ابن شداد: الاعلاق الخطيرة، ج 3، ق 2، ص 820.

(34) ابن شداد: الاعلاق الخطيرة، ج 3، ق 1، ص 214.

(35) ابن شداد: الاعلاق الخطيرة، ج3، ق1، ص215، ويبدو أن المسجد ربما كان للصلاة فقط، في حين أن المسجد الجامع كان يستخدم لمهات أوسع من صلاة الجمعة، كالوعظ والإرشاد، والتثقيف والتعليم والهداية الخ...

(36) ابن بطوطة: رحلته، ص236،

(37) P. Fiey: Les Diocèses Du Maphrianat Syrièn. p. 985 - 986.

(38) Lestrange: The Land Of The Eastern Caliphate. p. 93.

(39) دائرة المعارف الإسلامية، أحمد الشنتناوي وآخرون، ج6، ص453.

(40) Bell: Amurath to Amurath. p. 29.

(41) ليسترونج: بلدان الخلافة الشرقية، ص 123.

(42) بكنجهام: رحلتي إلى العراق، ج1، ص 41.

(43) Cuinet, V. Géographie Administrative Statistique.

(44) P. Fiey: Les Diocèses du Maphrianat Syrièn. p. 985 - 986.

(45) الحميري: الروض المعطار في خبر الأقطار، ص 150، ويتحدث المقدسي عن إقليم (آقور) الجزيرة ويصفه بأنه إقليم نفيس له فضل لأن به: «مشاهد الأنبياء، ومنازل الأولياء، به استقرت سفينة نوح على الجودى وبه سكن أهلها، وبه تاب الله على قوم يونس، وأخرج منه العين ومنه دخل الظلمات ذو القرنين، وفيه عجائب جرجيس، وفيه أنبت الله ليونس اليقطينة، ومنه خرج نهر الملة المبارك دجلة، أليس به مسجد يونس بتل توبة. يقولون سبع زورات له يعدلن حجة مع مشاهد كثيرة...» المقدسي: أحسن التقاسيم، ص 136).

(46) الرويشيدي: إمارة بدر الدين لؤلؤ في الموصل، ص43.

(47) المقريزي: السلوك، وكان مرقد الشيخ عدي في جبال هكار الكردية، من أعمال جزيرة ابن عمر (الديوه جي، اليزيدية، ص 52). (العمري: منية الأدباء، ص 54).

(48) ابن شداد: الاعلاق الخطيرة، ج3، ق1، ص215.

(49) P. Fiey: Les Diocèses du Maphrianat Syrièn p. 985.

(50) Cuinet V: Geographie Administrative Statistique p. 513.

(51) عبد العزيز سالم: محاضرات في الحضارة الإسلامية، ص206 ـ 209، ومما يذكر أن بعض الحمامات في منطقة الموصل: كانت مشهورة بمياهها المعدنية، كحمام علي، أو حمام العليل. وكان السكان يقصدونها من الأماكن القريبة والبعيدة، للاستشفاء بها. (الجميلي: دولة الأتابكة في الموصل، ص293). لمزيد من التفاصيل راجع كتاب الاعتبار لابن منقذ. ص175.

(52) ابن شداد: الاعلاق الخطيرة، ج3، ق1، ص215.

(53) شميساني: مدينة سنجار، ص 291.

(54) ابن جبير: رحلته، ص 238.

(55) ابن بطوطة: رحلته، ص 236.

(56) Cuinet V. Géographie Administrative, Statistique, p. 513.

(57) P. Fiey: Les Diocéses du Maphrianat Syrién p. 985.

(58) دائرة المعارفة الإسلامية، أحمد الشنتناوي وآخرون ج6، ص 453.

(59) Lestrange: The Land of The Eastern Caliphate. p. 93. ويقـول ليسترونج: «... وفي الجهـة المقـابلة لجـزيـرة ابن عمـر، وبالتحديد في الضفة الغربية لدجلة توجد بازبدى، والقلاع هناك تمثل القلاع الرومانية المعروفة، ولكن ليس من مواصفات هـذا المكان».

(60) Bell: Amurath to Amurath. p. 297.

(61) P. Fiey: Les Diocèses Du Maphrianat Syrièn. p. 985 - 986. Lestrange The Lands Of The Eastern Caliphate. p. 93.

ويضيف ليسترونج بأن الجسر الحجري الضخم كان موجوداً منه بعض بقاياه أثناء الحملة التي قام بها حسن آغا على منطقة الجزيرة (Op. Cit).

(62) ابن الأثير: الكامل، ج11، ص308.

(63) دائرة المعارف الإسلامية، أحمد الشنتناوي وآخرون ج6، ص 453.

(64) الحميري: الروض المعطار في خبر الأقطار، ص150. الهروي: الإشارات إلى معرفة الـزيارات، ص 68، 69. ابن جبـير: رحلته، ص 238.

Lestrange: The Land of The Eastern Caliphate. p. 93 - 94.

(65) ابن حوقل: صورة الأرض، ص 202 ـ 203.

(66) الكرملي: النقود وعلم النميّات، ص45، حاشية رقم (4).

(67) الكرملي: النقود وعلم النميّات، ص 45.

(68) المقريزي: النقود الإسلامية، ص129، ومما يذكر أن دوراً للسكّ كانت موزعة في منطقة الجزيرة وأهمها، الرها، الموصل، نصيبين، سروج، بالإضافة إلى حرّان (المصدر نفسه).

(69) Zambaur: Die Munzpragungen des Islames p. 98, N. 3,8.

(70) عثر على فلوس مضروبـة في الجزيـرة نقش عليها: بسم الله ضرب هـذا الفلس بالجـزيرة. محمـد رسـول الله لا إلـه إلا الله وحده. قطرها 19 ملم. ووزنها 2غرام. ولم يذكر تاريخ ضربها (ومنسوبة إلى العملة الإسلامية). ونقش عـلى فلوس فضية أخـرى: بسم الله ضرب هذا الفلس بالجزيرة. محمد رسول الله، وعلى الظهر أمر الأمير العباس بن محمد أعز الله نصره. لا إله إلا الله، قطرها 20ملم، وزنها 3,75 غرام.

Lavoix; H, Catalogue des Monnaies Musulmanes, V. 1.p. 364, 427 N° 1568.

وبخصوص الدرهم الأموي المضروب في منطقة الجزيرة راجع النقشبندي مجلة سومـر ج 1 و2، مجلد 15 (لسنة 1959) ص 70 لـوح رقم (6).

(71) Lane Poole: Catalogue Oriental V. (3) p. 23 N° . 43 et p. 237.

ولم يذكر رقم السكة الثانية.

أما الفترة التي كانت فيها مدينة «الجزيرة» خاضعة لحكم الحمدانيين، فيعتقد بأن النقود التي كانت تضرب، إنما كانت خارج جزيرة ابن عمر، ومن المحتمل أن تكون في مدينـة سنجار في الفـترة التي امتدت بـين 306ـ 390هـ/ 918 ـ 999م. وكانت هـذه النقود هي المتداولة بين السكان (السـامر: الدولة الحمدانية ج1، ص210) (ابن مسكويه: تجارب الأمم ج1، ص234) (أبو الفداء: المختصر في أخبار البشر ج3، ص95).

(72) محمد باقر الحسيني: تطور النقود الإسلامية، ص68. ومن أبرز هذه الصور: صورة نسر ذي رأسين، ينشر جناحيه. وصورة أخرى تمثل شخصاً يتجه نحو اليسار (محمد باقر الحسيني، العمـلة الإسلامية في العهد الأتابكي، ص 131).

(73) Lane Poole Op. Citm V. 3 p. 183 N° . 521 et 526.

ويـذكر أن سيف الـدين غازي الثـاني (565 ـ ذ٥٧٦هـ/ 1170 ـ 1180م) حكم الموصـل وجـزيـرة ابن عمـر (ابن شداد: الاعـلاق

الخطيرة، ج3، 1، ص 227).

(74) Lane Poole: Op. Cit V 3, p.185 N° 528.

وذكر لين بول تاريخ ضرب النقود في عهد الملك مسعود الأول سنة 575هـ/ 1179م أي في السنة التي كان يحكم فيها سيف الدين غازي، وعلى الأرجح فإن هذا التداخل في تاريخ السك قد حصل بالتراضي بين الطرفين ـ غازي الثاني ـ ومسعود الأول.

(75) Lane Poole: Op. Cit V. p.229 N° 642, 644.

وأن الملك المعز الدين سنجر شاه حكم جزيرة ابن عمر من سنة 576 ـ 605هـ/ 1180 ـ 1208 م (ابن شداد: الاعلاق الخطيرة، ج3، ق1، ص 227، 228).

(76) Lane Poole: Op. Cit. V. (3) p. 230.

N° 645 - 648 et p.231.

N° 649, 650, 651.

ومن المعروف أن الملك الأتابكي محمود بن سنجر شاه الذي تلقب بلقب أبيه «معزالدين» قد حكم جزيرة ابن عمر من سنة 605 ـ 648هـ/1208 ـ 1250م (ابن شداد: الاعلاق الخطيرة، ج3، ق1، ص228، 234) ويذكر الكرملي بأن النقود التي كانت تضرب في جزيرة ابن عمر، كان ينقش عليها اسم الخليفة العباسي أحمد الناصر لدين الله بن المستضيء (575 ـ 622هـ/ 1179 ـ 1225م) واسم ولده «محمد» عدة الدنيا والدين. (الكرملي: النقود وعلم النميات، ص 128).

وفي هذه الحالة يستنتج أن التقليد المشار إليه أعلاه قد شمل النقود التي ضربت في عهد الملكين الأتابكيين، المعز الدين سنجر شاه، ومحمود بن سنجر شاه، باستثناء النقود التي ضربت سنة 639هـ/1241م.

والجدير ذكره أنَّ الأتابكة الذين اهتموا بضرب النقود، ضربوا العملات التي تحمل أسماءهم، ونقشوا عليها كتابات، إما بالخط الكوفي، أو بالخط النسخي. وأن معظم ما نقش على الدنانير، ظهرت فيه الكتابة الكوفية. ومما ظهر على الدينار الكتابة التي ازدانت حروفها بزخارف هندسية بسيطة، ذات نهايات متطورة. كما استخدم الخط الكوفي المورّق الذي تبدأ أو تنتهي حروفه بتوريقات نباتية، والخط الكوفي المزهّر (محمد باقر الحسيني: العملة الإسلامية في العهد الأتابكي، ص 16 ـ 18). وبالإضافة إلى الدنانير الذهبية، ضرب الأتابكة عملة أخرى هي الفلوس النحاسية، لسهولة ومرونة استخدامها في العمليات التجارية، وشراء الحاجيات. وكانت الفلوس تخلو من اسم الخليفة العباسي عكس ما كان عليه الدينار والعملات الذهبية. وتركت حرية التصرف بالنقود النحاسية لحكام الأقاليم (نفس المرجع ص 97 ـ 98).

(77) حكم بدر الدين لؤلؤ الموصل من سنة 649 ـ 657هـ/ 1251 ـ 1258م. وكان ينيب عنه في حكم «الجزيرة» ابنه سيف الدين اسحق (ابن شداد: الاعلاق الخطيرة، ج3، ق1، ص 243 ـ 244).

(78) Lane Poole: Op. Cit. V. (6) P. 14, 16, 29, 40.

وهذه المسكوكات التي يعود تاريخ ضربها إلى سنة 661هـ في فترة حكم هولاكو، بالإضافة إلى عملات أخرى ضربت في عهد هولاكو، لم تشر المراجع إلى غير المضروبة سنة 661. أما المضروبة سنة 691هـ فقد نقش عليها اسم الملك «آرغون»، وعملة تحمل نفس التاريخ نقش عليها اسم الملك «غازان» «...Op. Cit». وإن النقود التي ضربت في عهد هولاكو كانت بصورة عامة أكبر حجماً، وأكثر انتظاماً في دوائرها، وأبسط في الكتابات المنقوشة عليها، من نقود السلاطين الذين أعقبوه، وأقرب من غيرها شبهاً بالنقود العباسية. وان الدراهم الفضية التي تعود إلى عهد هولاكو هي من وزن 2,185 غرام، وقطر 22 ملم. أما الدراهم التي تعود إلى عهد الملك آرغون فإنها من وزن 2,525 غرام وقطر 22 ملم. وهذه الدراهم يعود تاريخها لسنة 687هـ/ 1288 م. (خصباك: العراق في عهد المغول الإيلخانيين، ص 125).

(79) خصباك: العراق في عهد المغول الإيلخانيين، ص 125، ولم يذكر تفصيلات عن عملة سنة 703هـ. أما النقود المضروبة سنة 707/ 1307 والتي تعود إلى عهد السلطان «أولجايتو» محمد خذا بنده، فإنها من وزن 4,254 غرام وقطرها 21 ملم. وهناك نقود يعود تاريخ ضربها لسنة 716هـ/ 1316م في عهد أولجايتو من وزن 3,805غرام وقطرها 26 ملم. أما النقود التي ضربت سنة 720هـ/ 1320 م فإنها ضربت في عهد أبي سعيد بهادرخان، وزن القطعة منها 4,277 غرام وقطرها 12,2 ملم. وقد عثر على نماذج أخرى

تعود إلى عهد أبي سعيد بهادرخان. فمنها ما ضرب سنة 725هـ/1324 م وزن القطعة منها 2,500 غرام وقطر 20 ملم. وأخرى ضربت سنة 727هـ/ 1326 م وزن القطعة منها 3,566 غرام وقطر 23 ملم. وهذا دليل على وضوح التباين بين أحجام وأوزان هذه النقود (جعفر خصباك: العراق في عهد المغول الإيلخانيين، ص 125).

ومما يذكر أن النقود الإيلخانية تميزت بكثرة النقوش التي من بينها صور حيوانات، كالأرنب، والقرد، أو صور وجه إنسان. أما النصوص المنقوشة عليها، فالمضروب في البلاد الإسلامية يتمثل في العبارات التقليدية (لا إله إلا الله محمد رسول الله) وما شاكلها. كما وجد عليها أسماء الخلفاء الراشدين الأربعة، منقوشة على الكثير منها، باستثناء النقود المضروبة في عهد أولجايتو «محمد خدا بنده» حيث وجد عليها أسماء الأئمة الشيعة، الإثني عشرية (نفس المرجع).

(80) Lane Poole: Op. Cit. V. (7) p.10.

وقد نقش على تلك النقود العبارات التالية: «السلطان الأعظم ضرب بوداق أبو خان أمير يوسف جزيرة نويان خان خلد ملكه» (Op. Cit) ولمعرفة التفاصيل حول فترة حكم القره قوينلو فالواقع أن قبيلة الآق قوينلو، هي التي حكمت في جزيرة ابن عمر، وليس القره قوينلو. ولم تشر المراجع إلى مسكوكات الآق قوينلو (القرماني: أخبار الدول وآثار الأول، ص339).

(81) Lane Poole, Op. Cit. V. (8) P. 247, 252, 305, 306, 307, 308, V. (2) P.196.

المصادر العربية:

- ابن الأثير، أبو الحسن علي بن محمد ت 1233/630.
  - الكامل في التاريخ (13 ج) دار صادر بيروت 1967.
- ابن بطوطة، أبو عبدالله محمد الطناجي ت1377/779.
  - رحلة ابن بطوطة، المسماة تحفة النظار في غريب الأمصار وعجائب الأسفار دار صادر بيروت 1964.
- ابن جبير، أبو الحسن محمد بن أحمد ت1217/779.
  - رحلة ابن جبير (1ج) طبع في مدينة ليدن بمطبعة بريل 1907.
- ابن حوقل، أبو القاسم محمد بن البغدادي الموصلي ت 990/380.
  - صورة الأرض (1ج) دار مكتبة الحياة بيروت 1979.
- دائرة المعارف الإسلامية.
  - أحمد الشنتناوي وآخرون (15ج) طبعة طهران.
- ابن خلكان، شمس الدين أحمد بن محمد ت1281/681.
  - وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان (8ج) تحقيق إحسان عباس دار الثقافة بيروت 1977.
- ابن شداد، عز الدين أبي عبدالله محمد بن علي ت 1285/684.
  - الاعلاق الخطيرة في ذكر ملوك الشام والجزيرة الجزء الثالث ـ القسم الأول والثاني تحقيق يحيى عبّارة، دمشق وزارة الثقافة والإرشاد القومي 1978.
- ابن مسكويه، أبو علي أحمد بن محمد.
  - تجارب الأمم (5ج) منشورات مكتبة المثنى ببغداد.
- ابن منقذ، أسامة بن مرشد الكناني الشيرزي ت1188/584.
  - المنازل والديار (1ج) تحقيق مصطفى حجازي القاهرة، لجنة إحياء التراث الإسلامي 1968.
- أبو الفداء عماد الدين إسماعيل ت1321/732.
  - المختصر في أخبار البشر (2ج) بيروت دار الكتاب اللبناني (1959 ـ 1961).
- البغدادي، ابن عبد الحق صفي الدين عبد المؤمن ت1338/739.

- مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع (3ج) تحقيق علي البجاوي القاهرة دار إحياء الكتب العربية (1954 ـ 1955).
. البكري، أبي عبيدالله بن عبدالعزيز البكري الأندلسي ت1094/487.
- معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع (4ج) تحقيق مصطفى السقا (1945 ـ 1983). القاهرة.
. الحميري، أبو سعيد نشوان بن سعيد بن نشوان ت1178/537.
- الروض المعطار في خبر الأقطار (1ج) تحقيق كمال مصطفى القاهرة 1948.
. العمري، ياسين بن خيرالله الخطيب ت1744/1157.
- منية الأدباء في تاريخ الموصل الحدباء تحقيق سعيد الديوه جي الموصل 1955.
. المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين ت956/346.
- مروج الذهب ومعاون الجوهر (4ج) تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد بيروت 1966.
. المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي ت1441/845.
- السلوك لمعرفة دول الملوك (2ج) القاهرة تحقيق سعيد عاشور (970 - 972).
- شذور العقود في ذكر النقود (النقود الإسلامية تحقيق محمد السيد بحر العلوم المكتبة الحيدرية في النجف 1967).
- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار (2ج) القاهرة 1326هـ.
. الهروي، أبو الحسن علي بن أبي بكر ت 1214/611.
- الإشارات إلى معرفة الزيارات (1ج) المعهد الفرنسي بدمشق 1953.
. ياقوت، شهاب الدين أبو عبدالله، المعروف بالحموي ت 1225/623.
- معجم البلدان (5ج) بيروت دار صادر ودار بيروت (1955 ـ 1957).

المراجع العربية:

- باقر، طه، وفؤاد سفر المرشد إلى مواطن الحضارة والآثار (3ج) بغداد وزارة الثقافة والإرشاد القومي 1966.
- الجميلي، رشيد، دولة الأتابكة في الموصل بعد عماد الدين زنكي دار النهضة العربية بيروت 1970.
- الحسيني، محمد باقر: العملة الإسلامية في العهد الأتابكي (1ج) مطبعة دار الجاحظ بغداد 1966.
- خصباك، جعفر حسين: العراق في عهد المغول الإيلخانيين (1ج) مطبعة العاني بغداد 1968.
- الديوه جي، سعيد: اليزيدية (1ج) المجمع العلمي العراقي بغداد 1973.
- الرويشيدي، سوادي عبد محمد، إمارة الموصل في عهد بدرالدين لؤلؤ (1ج) بغداد 1971.
- سالم، عبد العزيز: محاضرات في الحضارة الإسلامية بيروت مطبعة كريدية 1973.
- السّامر، فيصل: الدولة الحمدانية في الموصل وحلب (2ج) بغداد (1970 ـ 1973).
- شميساني، حسن: مدينة سنجار اطروحة دكتوراه مسجلة في الجامعة اليسوعية ببيروت 1981.
- الكرملي، الأب انستاس ماري البغدادي: النقود العربية وعلم النميّات، القاهرة 1939.
- مجلة سومر من المجلد 2 إلى المجلد 31. تصدرها مديرية الآثار العراقية مطبعة الرابطة بغداد (1945 ـ 1975).

المراجع المترجمة:

- بكنجهام، جيمس: رحلتي إلى العراق (2ج) ترجمة سليم التكريتي ج1 بغداد مطبعة أسعد 1968.
- ليسترونج، جي: بلدان الخلافة الشرقية (1ج) ترجمة كوركيس عواد وبشير فرنسيس بغداد 1954.
- لين بول، ستانلي: طبقات سلاطين الإسلام ترجمه عن الفارسية مكي الكعبي حققه وقابله علي البصري دار منشورات البصرة 1968.

المراجع الأجنبية:

- Bell; Amurat to Amurat London 1911.
- Cuinet, Vital: Géographie administrative Statistique Syrie, Liban et Palestine, Paris 1896.
  - La Turquie d'Asie, Paris 1881.
- Fiey, Jean Maurice: Les diocèses du Maphrianat Syrièn, dans Parole de l'orient V.III (1977 - 1978).
  - Nisibe, Métropole Syriaque Orientale Louvain 1977.
- Lane Poole, Stanley: Catalogue of the Orientale Coins in the British Museum (10 V01) (10 London Paris 1975 - 1890).
- Lavoix, Henri: Catalogue des Monnaies Musulmanes de la Bibliothèque Nationale (3V.) Paris (1887 - 1896).
- Lestrange, Guy: The Land of the Eastern Caliphate. Cambridge 1966.
- Zambaur, Eduard Von: Die Munz Pragugen des Islams. Wiesbaden (1968).